الكذب وأثره على المجتمع في الكتاب والسنة

بقلم

د. مريم عبد القادر عبد الله السباعي

جامعة الملك عبد العزيز

جدة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي بفضله اهتدى المهتدون، وبعدله ضل الضالون. لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

الحمد لله الذي هدانا للإسلام. وعلمنا الحكمة والقرآن .. وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس وألبسنا لباس التقوى خير لباس .. وشرع لنا ديناً قويماً .. وهدانا صراطاً مستقيماً لا زيغ فيه ولا التباس .. وصلى الله عليه وسلم وبارك على من بعثه ربه هادياً ومبشراً ونذيراً .. وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ...

نشهد أنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وجاهد في الله حق جهاده .. ما من خير إلا ودلنا عليه ما من شر إلا وحذرنا منه .. فاللهم اجعلنا به مقتدين .. ولأثره متبعين .. وبسنته مهتدين.. وبنور حكمته مستجيرين .. وعلى طريقته سائرين .. اللهم واجعلنا به مع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في جناتك جنات النعيم على سرر متقابلين برحمتك يا أرحم الراحمين.

فهذا بحث اعتمدنا فيه على الله تعالى أولاً وأخيراً، وتناولنا فيه موضوعاً خطيراً له الأثر البالغ على كل من الفرد والمجتمع وبه تفسد الحياة ألا وهو خلق الكذب.

فهو أس الشرور ورذيلة الرذائل بل هو أصل .. والرذائل فروع له وهو يأتي بصور مختلفة يتمثل بأشكال متعددة .. ذكرناها في البحث.

وقد بدأت هذا البحث بالمقدمة ثم بمقدمة تمهيدية .. ثم تناولت الموضوع وقسمته إلى أربعة فصول كل فصل يشتمل على عدة مباحث.

وقد اجتهدنا قدر المستطاع في جمع المادة العلمية لهذا البحث من المراجع والمصادر الموثوقة، وأعظمها وأجلها على الإطلاق: الكتاب العزيز والسنة المطهرة وهما المنبعان الصافيان اللذان من أخذ بهما وعض عليهما بالنواجذ فاز وأفلح ومن أعرض عنهما وعن هديهما فقد خاب وضل مسعاه.

كذلك اجتهدنا في التحري في هذا البحث بأن التزمنا الأمانة العلمية وأن ننسب كل قول إلى قائله، واجتهدنا على قدر علمنا ومعرفتنا فنسأل الله العلي القدير أن يوفقنا

ويسدد خطانا وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع قبولاً حسناً إنه الجواد الكريم.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وينقسم هذا البحث إلى مقدمة تمهيدية وأربعة فصول تتكامل فيما بينها حيث يختص الفصل الأول بالوقف على تعريف الصدق والكذب وموقف الإسلام منهما وذلك من خلال خمسة مباحث. أما الفصل الثاني فيحتوي على ثلاثة مباحث هي الكذب في حب الله ورسوله ﷺ والكذب على الله ورسوله والوعيد على من كذب على الرسول.

ونتناول في الفصل الثالث ضروب الكذب كشهادة الزور والقذف بالباطل واليمين الغموس والكذب في الأفعال وغير ذلك.

أما الفصل الرابع فيختص بالحديث عن حكم الكذب وعلاجه وجزاء كل من الصادق والكاذب.

مقدمة تمهيدية:

لاشك أن الله تعالى منح الإنسان نعماً عظيمة ومن أعظمها بعد الإسلام: نعمة النطق باللسان، وهذا اللسان سلاح ذو حدين: فإن استخدم في طاعة الله، كقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصدق ونصر المظلوم كان هذا هو المطلوب من كل مسلم، وكان هذا شكر الله على هذه النعمة، وإن استخدم في طاعة الشيطان وتفريق جماعة المسلمين، والكذب وقول الزور والغيبة والنميمة، وانتهاك أعراض المسلمين وغير ذلك مما حرمه الله تعالى ورسوله الكريم ﷺ كان هذا هو المحرم على كل مسلم فعله وكان كفراناً لهذه النعمة العظيمة(١).

الصدق فضيلة الفضائل، وأس الخلائق، ويقوم عليه نظام الاجتماع وترتيب الأمور، وسيرها السير الحميد.

وإنه يعلي صاحبه عند الناس جميعاً فيجعله موضع ثقتهم، مرغوباً في الحديث عندهم، محبوباً إليهم، محترم الكلمة عند خصامهم، مقبول الشهادة عند قضاتهم.

لهذا أمرنا به الرسول ﷺ كما أمرنا القرآن في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾(٢)، وأشاد بمكانته في حديثه عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام إذ يقول تعالى: ﴿**وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياً**﴾(٣)، ومدح به إسماعيل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياًّ**﴾(٤)، وإدريس عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياًّ، وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِياًّ**﴾(٥).

والصدق يكون في القول وفي العقيدة وفي العمل، فالصدق في القول أن يكون مطابقاً لضميره، والصدق في العقيدة أن تكون طبق الأصل في الوجود، والصدق في العمل، وقد بين الرسول ﷺ أن الصدق يهدي إلى الله ويرشد إلى التوسع في الخير ذلك أنه منبت الفضائل مفتاح الجنات. والإيمان بالله وتصديق رسله ما هو إلا من شعب الصدق.

---

(١) آفات اللسان؛ سعيد القطاني، ط٤.
(٢) آية (١١٩) سورة التوبة.
(٣) آية (٥٠) سورة مريم.
(٤) أية (٥٤) سورة مريم.
(٥) الآية (٥٦، ٥٧) من سورة مريم.

وبالصدق يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان.. وسكان الجنات من أهل النيران وهو سيف الله في أرضه الذي ما وضع على شئ إلا قطعه. ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه .. من صال به لم ترد صولته.. ومن نطق به علت على الخصوم كلمته.. فهو روح الأعمال.. ومحك الأحوال.. والحامل على اقتحام الأهوال.

وهو أساس بناء الدين وعمود فسطاط اليقين.. ودرجته تالية لدرة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين.. ومن مساكنهم في الجنات تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين(١).

وأول الصدق: صدق القصد، به يتلاقي كل تفريط، ويتدارك كل خائن، ويعمر كل خراب، والصادق حقيقة هو الذي قد انجذبت قوى روحه كلها إلى إرادة الله وطلبه، والسير إليه، والاستعداد للقائه(٢).

كما أن الصدق أس الفضائل فإن الكذب أس الرذائل، به يتصدع بنيان المجتمع، ويختل سير الأمور، ويسقط صاحبه من العيون.

لا يصدقونه في قول ولا يثقون به في عمل ولا يحبون له مجلساً، أحاديثه منبوذة، وشهادته مردودة، لذلك نهى عنه الرسول ﷺ.

وفي القرآن الكريم كثير من الآيات المقبحة للكذب، المنفرة منه، المتوعدة عليه بالعذاب الشديد قال عز وجل ﴿**وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(٣)، ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الكَاذِبُونَ**﴾(٤)، والكذب إنما يجري مجري الصدق، فيكون في القول والعقيدة والعلم، فالكذب في القول بأن لا يطابق الضمير أو الواقع أو النية، والكذب في العقيدة ما لا يساير الوجود، والكذب في العمل يكون بالرياء.

(١) الأدب النبوي، محمد عبد العزيز الخولي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
(٣) أية (١١٦، ١١٧) سورة النحل.
(٤) آية (١٠٥) سورة النحل.

وقد بين الرسول ﷺ إن الكذب يهدي إلى الفجور ويبعث الشر، ويهتك ستر الديانة، فإذا بصاحبه مرتطم في المعاصي، متهالك عليها، والشرك اتخاذ الند ما هو الأكذب(١).

والمنافق كذاب لأن لسانه ينطق بغير ما في قلبه، والمتكبر كاذب لأنه يدعي لنفسه منزلة غير منزلته، والفاسق كاذب لأنه كذب في دعوى الإيمان نقض ما عاهد الله عليه، والنمام كذاب لأنه لم يتق الله في فتنة فيتحرى الصدق في نميمته، والمتملق كاذب لأن ظاهره ينفعك وباطنه يلدغك(٢).

إن مشكلة العالم اليوم تبدأ من فقدان الصدق وانتشار الكذب بأنواعه واختلاف صوره، فليس غريباً إذا أن تقف الشرائع كلها متشددة في خلق الصدق، منكرة لرذيلة الكذب.

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكاذبين، وأكثرهم تنويها بالصدق والصادقين فهو يعد الصدق مفتاح البر والكذب مفتاح الإثم والفجور حين يقول ﷺ: **{الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهديى إلى النار}**(٣)، ومن فلسفة الكذب في الإسلام أنه عنوان خيانة كبرى، يقول ﷺ: **{كبرت خيانة أن تحدث أخاك هو لك مصدق وأنت له كاذب}**(٤). والكذب آية من آيات النفاق: **{آية المنافق ثلاث: ومنها - إذا حدث كذب ...}**(٥)، والكذب لا يلتقي مع الإسلام ولا يطبع عليه المسلم، لقوله ﷺ: **{كل خصلة يطبع عليها المسلم إلا الخيانة والكذب}**(٦).

إن الكذب جبن وخسة وجرأة على الله يستحق الكذاب من أجلها اللعنة والطرد من رحمة الله لقوله تعالى: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ**﴾(٧).

(١) الأدب النبوي، محمد عبدا لعزيز الخولي.
(٢) النظرات، مصطفى المنفلوطي، ج١، دار الجيل.
(٣) البخاري (٥٧١٣).
(٤) أحمد (١٧٦٧٢) ونحو أبو داود (٤٩٧١).
(٥) البخاري (٢٥٩٨)، مسلم (١٠٧).
(٦) مسند أبو يعلي (٧١١).
(٧) آية (٦١) سورة آل عمران.

والكذاب لن ينجح في حياته، ولن يهتدي إلى الحق والخير، فسيكشف الناس عن جبن وخسة تجعل الخيبة ملازمة له في شأنه كله، ذلك وعيد للكاذبين حين يقول تعالى: "**إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب**"(١).

والكذاب لن تكون أخوته صادقة ولا معاملته صادقة، ومن ثم فلن يكون الكذاب زعيماً صادقاً، ولا حاكما صادقاً، ولا موظفاً صادقاً، ولا عاملاً صادقاً، ولا عالماً صادقاً(٢).

إن خلق الكذب في حياة الإنسان قابل للاكتساب، وقابل للتنمية والترسيخ، عن طريق التدريب العملي المقترن بالإرادة الحازمة، وبتكرار ممارسة الكذب تكتسب العادة، ثم تتحول العادة إلى خلق راسخ، عندئذ يكتب عند الله كاذباً، ومن غدا كذاباً هانت لديه معظم أعمال الفجور، فدفع به الكذب إلى النار.

وتبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني إلى خلق الصدق، حينما نلاحظ أن شطراً كبيراً لنا حاجة العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية، تعتمد على صدق الكلمة فإذا لم تكن الكلمة معبرة تعبيراً صادقاً عما في نفس قائلها، لم نجد وسيلة أخرى كافية نعرف فيها إرادات الناس، ونعرف فيها حاجاتهم، ونعرف فيها حقيقة أخبارهم.

كيف يكون لمجتمع ما كيان متماسك وأفراده لا يتعاملون فيما بينهم بالصدق؟ وكيف يكون لمثل هذا المجتمع ثروة من ثقافة أو تاريخ أو حضارة؟

كيف يوثق بنقل المعارف والعلوم إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإنساني؟

كيف يوثق بنقل الأخبار والتواريخ إذا لم يكن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع؟

كيف يوثق بالدعاوي والشهادات ودلائل الإثبات القولية ما لم يكن الصدق أحد أسس التعامل بين الناس؟

ما هو مصير مجتمع قائم على الكذب؟ أليس مصيره الانحلال والتفكك، ثم التخلف الحضاري الشنيع، ثم الخراب والدمار.

(١) أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السابعي، المكتب الإسلامي، ط٤.
(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

أليس الجهل المخزي أحد سمات هذا المجتمع المنحل؟[١].

لو نظرنا إلى أمتنا في عصور الخير والمجد لوجدنا أنها من أشهر الأمم بالصدق، حاكمها أصدق حكام الدنيا، وعالمها أصدق علماء الأرض، وتاجرها أصدق تجار الأمم، وقائدها أصدق قادة الجيوش، وبذلك كانت كلمة العهد والأمان تصدر من قائد من قوادنا، أقوى وأبلغ أثراً وأكثر خيراً من المعاهدات السياسية والعسكرية، التي تقع في عصرنا الحاضر بين الدول، ثم لا يكون لها من القيمة أكثر من قيمة الورق الذي كتبت عليه، والحبر الذي سجلت به.

ما أجدر السادة والزعماء ورجال الأحزاب بأن يتحلوا بالصدق لتستقيم حياتهم فتستقيم حياة الأمة، وأجدر الناس من تجار وعمال وموظفين ومتعلمين أن يتحلوا بالصدق لتعود إلى النفوس ثقة فقدناها، فقدنا الأمن والحب والسعادة والاستقرار.

وما أجدر المربين أن يربوا أبناءنا وبناتنا على الصدق حتى ينشأوا كراماً مطبوعين على الجرأة والعفة والأمانة وليحذر الآباء والأمهات من أن يكثروا الكذب على أطفالهم، أو يعودوهم عليه ولو كان لإسكاتهم عن البكاء، أو لتهدئتهم من غضب، فإن ذلك تعويد على أقبح خلق، عدا أنه يفقد أطفالهم الثقة بأقوالهم، فلا تنجح موعظة، ولا يؤثر حديث[٢].

إن حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم، فهم يتقلبون تحته تقلب الحامل بحمله الثقيل، والرياء والكذب خفيف كالريشة لا يجد له صاحب ثقلاً البتة، فهو حامل له في أي موضع اتفق، بلا تعب بلا مشقة ولا كلفة، فهو يتقلب تحت حمله ولا يجد ثقله[٣].

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
(٢) أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، ط٤.
(٣) تهذيب مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، هذبه: عبد المنعم صالح العلي العزي، دار المطبوعات الحديث.

الفصل الأول

في تعريف الصدق والكذب وموقف الإسلام منهما

المبحث الأول : تعريف الصدق والكذب.

المبحث الثاني : موقف الإسلام من الصدق والكذب.

المبحث الثالث : الصدق وتجنب الكذب من فطرة الإنسان.

المبحث الرابع : أنواع الكذب.

المبحث الأول

تعريف الصدق والكذب

تعريف الصدق:

الصدق في الاستعمال الشائع هو الإخبار بالحق الذي يعلمه الإنسان ولا يعلم غيره، ومادة (الصدق) في لغة العرب - وهي لغة القرآن الكريم - تدل على قوة في الشئ، سواء أكان الشئ قولاً أو غيره، وسمي الصدق القولي صدقاً لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، والأصل في هذا قول العرب: رمح صدق أي صلب.

وقد عرفوا الصدق بأنه مطابقة القول الضمير والشئ المخبر عنه معاً ودون ذلك لا يكون القول صدقاً تاماً(١).

ويعرف الصدق بأنه قول الحق، وبأنه القول المطابق للواقع والحقيقة. ويعرف بعضهم الصدق بأنه الكلام المطابق لاعتقاد المتكلم سواء طابق الواقع والحقيقية أو لم يطابق، وهذا التعريف معترض عليه بأنه لو جاز أن نسمي ما طابق اعتقاد المتكلم صدقاً لكان قول المشركين فيما يعتقدون لشركائهم كلاماً صدقاً، مع أنه كذب ظاهر، مخالف للواقع والحقيقة.

والصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها والصدق في الأعمال استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص.

واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامه بها: تكون صديقيته.

ولذلك كان أبو بكر الصديق ﷺ: ذروة سنام الصديقية، سمي (الصديق) على الإطلاق و(الصديق) أبلغ من الصدوق والصدوق أبلغ من الصادق.

فأعلى مراتب الصدق: مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للرسل.

(١) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ج١.

تعريف الكذب:

قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى (واعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشئ بخلاف ما هو تعمدت ذلك أم جهلته، لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد فالكذب: الإخبار عن الشئ على خلاف ما هو عمداً كان أو سهواً).

المبحث الثاني

موقف الإسلام من الصدق والكذب

لما كان الصدق ضرورة من ضرورات المجتمع الإنساني، وفضيلة من فضائل السلوك ذات النفع الحضاري العظيم.

ولما كان الكذب عنصر إفساد كبير للمجتمعات الإنسانية، وسبب هدم لأبنيتها الحضارية، وتقطيع لروابطها وصلاتها، ورذيلة من رذائل السلوك ذات الضرر البالغ، أمر الإسلام بالصدق، ونهي عن الكذب، وأعلن أن الصدق أحد الأسس الحضارية التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي، ووضع قواعد تربية هذا المجتمع على الصدق، واتخذ كل الوسائل الكفيلة بغرس هذا الخلق العظيم في نفوس أفراده جميعاً، صغاره وكباره، ورجاله ونسائه(١).

والإسلام هو أشد الأديان وطأة على الكذب والكاذبين وأكثرهم تنويهاً بالصدق والصادقين، فهو يجعل الصدق قرين التقوى، فمن فقد الصدق فقد التقوى، حين يقول القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [سورة التوبة: ١١٩]. تفسير ابن كثير ج٦، بل يعتبر الصدق مفتاح البر، والكذب مفتاح الإثم والفجور حين يقول ﷺ: **{الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار}**(٢). ومن فلسفة الكذب في الإسلام أنه عنوان خيانة كبرى، يقول عليه الصلاة والسلام: **{كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له**

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

كاذب} بل هو من آية النفاق لحديثه **{آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان}**(١).

بل الكذب لا يلتقي مع الإسلام ولا يطبع على المسلم وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام: **{كل خلة يطبع عليها المسلم إلا الخيانة والكذب}**(٢). والكذاب لن ينجح في حياته، ولن يهتدي إلى الحق والخير، فسينكشف للناس عن جبن وخسة تجعل الخيانة ملازمة له في شأنه كله(٣).

ولذلك فإن الإسلام يوصي أن تغرس فضيلة الصدق في نفوس الأطفال، حتى يشبوا عليها، و قد ألفوها في أقوالهم وأحوالهم كلها فعن عبد الله بن عامر قال: دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ **{ما أردت أن تعطيه}** فقالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: **{أما أنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة!!}**(٤). وعن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: **{من قال لصبي: تعال هاك، ثم لم يعطيه فهي كذبة}**(٥).

فانظر كيف يعلم الرسول ﷺ الأمهات والآباء تنشئة أولادهم تنشئة يقدسون فيها الصدق، ويتنزهون عن الكذب ولو أنه تجاوز عن الأمور وحسبها من التوافه الهينة لخشي أن يكبر الأطفال، وهم يعتبرون الكذب ذنباً صغيراً وهو عند الله عظيم(٦).

وبذلك يتبين لنا مكانة الصدق وعلو شأنه في الإسلام وقد ذكر القرآن الكريم اتصاف الله تبارك وتعالى بصفة الصدق في مواطن كثرة كقوله تعالى ﴿**قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٥]، وكذلك نجد القرآن وصف رسل الله تعالى عليهم أفضل الصلاة والسلام بالصدق، فيقول: ﴿**هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ**﴾ [يس: ٥٢]، وإذا كان خلق رسول الله ﷺ هو التطبيق العملي لآداب القرآن، كما أخبرت السيدة عائشة رضي الله عنها، وإذ كان الحق جل جلاله يقول عنه: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤]، فمن الطبيعي أن يكون سيدنا رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما، مسند أبي بغلي (٧١١).
(٣) أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، ط٤، المكتب الإسلامي.
(٤) أبو داود (١٩٩١).
(٥) الإمام أحمد (٩٨٥٥).
(٦) خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.

قدوة وأسوة ومثلاً في الصدق، وأن يظهر خلق الصدق فيه منذ نشأته فالصدق من أعظم الأخلاق الكريمة، والقرآن ينوه بالصدق ويرفع شأنه، فلا عجب في أن يستمسك الرسول ﷺ بالصدق في كل أحوال، وهذا كله يدلنا على ما أعطى القرآن الكريم فضيلة الصدق من منزلة ومكانة(١).

المبحث الثالث

الصدق وتجنب الكذب من فطرة الإنسان

يظهر من ملاحظة الصغار أنهم مفطورون في أساس تكوينهم على حب الحق وعلى حب الصدق، وأن خلق الكذب لا يكون أصيلاً في طبع الإنسان بحسب فطرته وإنما يكتسبه بعد ذلك في حياته اكتساباً، بعوامل شتى، منها البيئة، ومنها مؤثرات الأهواء والشهوات، ومنها الاعتياد بتكرر الخبرات، ثم تتحول العادة فتكون خلقاً مكتسباً وقد قال الرسول ﷺ: **{يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الخيانة والكذب}**(٢). فهذا الحديث يدل على أن الإنسان مفطور في أساس تكوينه على حب الحق.

وذكر الحديث المؤمن ولم يذكر الإنسان، إلا أن كل إنسان مفطور على الإيمان فهو مؤمن بالفطرة، ويفسد فكرته بعد ذلك بإرادته، أو تعمل البيئة على إفساد فطرته، وقد دل على هذا قول الرسول ﷺ: **{كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه أو يتراكنه مسلماً}**(٣)، وقد دل على هذا قوله تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم: ٣٠].

ولما كان الإنسان في فطرته أكثر ميلاً إلى الحق والصدق كانت تربيته على حب الحق والتزام الصدق أمراً ميسوراً، يجد من الفطرة مساعدات عليه، وعلى المربين أن يستغلوا ذلك استغلالاً حسناً(٤).

(١) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، ج١، دار الرائد العربي، ص ٤٢-٤٥.
(٢) رواه الإمام أحمد (٢٢٢٢٤).
(٣) أبو داود (٤٧١٤).
(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، ص ٥٣١-٥٣٢.

المبحث الرابع

الحث على الصدق والتحذير من الكذب

لقد حث الإسلام على الصدق فقد قال الرسول ﷺ: **{الصدق طمأنينة والكذب ريبة}**[١]، وقال: **{عليكم بالصدق}**[٢]، وقال: **{تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة، فإن فيه النجاة}**[٣]، وكذلك أخبرنا أن الصدق سبب الخير ومفتاح البركة، فقال: **{ما أملق تاجر صدوق}**[٤]، أي منا افتقر، قال: **{البيعان - أي البائع والمشتري - بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما}**.

والإسلام لاحترامه الشديد للحق طارد الكاذبين، وشدد عليهم بالنكير، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: **{ما كان من خلاق أبغض إلى رسول الله ﷺ من الكذب ما اطلع على أحد من ذلك بشئ فيخرج من قلبه حتى يعلم أنه قد أحدث توبة}**.

فالكذب رذيلة محضة تنبئ عن تغلغل الفساد في نفس صاحبها، وعن سلوك ينشئ النشر إنشاء، ويندفع إلى الإثم من غيره ضرورة مزعجة، أو طبيعة قاهرة.

وروي الإمام أحمد والبيهقي في شعب الإيمان، عن عبادة بن الصامت، أن النبي ﷺ قال: **{اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة: أصدقوا إذا حدثتم، أوفوا إذا عاهدتم، وأدوا إذا أؤتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم}**.

فجعل الرسول ﷺ في هذا الحديث الصدق أحد عناصر ستة من تحلي بها دخل الجنة، وفي هذا ترغيب عظيم بالتحلي بخلق الصدق.

وروى الترمذي عن ابن عمر قال: قال الرسول ﷺ: **{إذا كذب العبد فباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به}**، وقد دل هذا الحديث على أن رذيلة الكذب لها رائحة منتنة يشمها الملك المرافق للإنسان، وهذا من خبايا الكون وأسراره، فالأعمال لها روائح، ولها وزن ولها صور، ولها صفات كثيرة يدركها من لديه أجهزة إدراكها، وما أوتينا من العمل ومن وسائله إلا قليلاً.

---

(١) جزء من حديث للترمذي (٢٥١٨)، وأحمد (١٧٢٣-١٧٢٧).
(٢) جزء من حديث مسلم (١٠٥) وأبو داود (٤٩٨٩).
(٣) كنز العمال (٦٨٥٥).
(٤) كنز العمال (٩٣٥٨).

وقد يكون الكذب خيانة كبيرة، وذلك حينما تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت به كاذب.

ومن الكذب أن يحدث الإنسان بكل ما يسمع من أحاديث وأخبار دون تحرير لها ولا تنفيح، لأنه بتهاونه وإهماله وعدم تحريه الصادق من الأخبار يساهم في نشر الأكاذيب وإشاعتها، روي الإمام مسلم عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: **{كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع}**(١). رواه مسلم.

المبحث الخامس

أنواع الكذب

١ – **كذب خيالي:** وهو الذي تختلط فيه الحقيقة بالخيال ويمارسه الأطفال بما لديهم من قدرة خيالية في مراحل الطفولة.

٢ – **كذب ادعائى:** وهو ما يزعمه الكاذب من أحداث بغية تحقيق أغراض خاصة.

٣ – **كذب دفاعي:** وهو نتيجة الخوف أو الهروب من مواقف تدينه فيضطر إلى الكذب أو تخلصاً من مأزق وجد نفسه فيه.

٤ – **كذب المحاكاة:** وهو الذي يحاكي فيه الإنسان من هم حوله فيكذب مثلهم وخاصة الأطفال الذين يحاكون أفراد أسرتهم الذي هم قدوتهم.

٥ – **كذب انتقامي:** وهو ما يقصد به إيقاع العقاب بالآخرين والانتقام منهم بسبب الكراهية أو الحقد أو الحسد.

فالكذب يتصل اتصالاً وثيقاً بالخوف وهو مرض اجتماعي يظهر كثيراً في سلوك الأفراد فإذا اتخذ صفة الاستمرار والاتصال صار مرضاً نفسياً وأصبح من الواجب تحليل حالة صاحبه بغية الوصول إلى العوامل المسببة له مثل عقدة النقص أو الكراهية اللاشعورية إلى غير ذلك.

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.

والكذب ظن وارتياب وشك وقد نهينا عن الظن قال تعالى: ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال: ﴿**وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئاً**﴾ [النجم: ٢٨]، وقال ﷺ: **{إياكم الظن فإن الظن أكذب الحديث}**(١).

ومن الواجب على كل مسلم أن يحارب الظنون والشكوك والريب والإشاعات والأباطيل لأنها افتراء وتدليس وتشكيك(٢).

(١) جزء من حديث عند البخاري (٥٧١٩، ٥٧١٧، ٤٨٤٩)، وعند مسلم (٢٨)، وأبو داود (٩٩١٧)، والترمذي (١٩٨٨)، وأحمد (٧٨٩٥، ٧٣٣٣، ٨١٠٣)، وابن حبان (٥٦٨٧).

(٢) في مكارم الأخلاق، فوزي سالم عفيفي، ص ٩٥-٩٧.

الفصل الثاني
أنواع الكذب وعواقبه

المبحث الأول: الكذب في حب الله ورسوله ﷺ .

المبحث الثاني: الكذب على الله ورسوله ﷺ .

المبحث الثالث: الوعيد على من كذب على الرسول ﷺ .

المبحث الأول

الكذب في حب الله ورسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ**﴾ [التوبة: ٢٤]. والرسول ﷺ يربط الصدق في حب الله ورسوله، وإيثاره على الأهل والمال والولد بالإيمان فيقول: **{ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار}.**

ولأنه هو المبلغ عن الله، والذي يجب إتباعه على جميع المؤمنين للمجانسة بينه وبينهم في البشرية كما أن حبه من حب الله ويقول مرشداً في ذلك: **{لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين}.**

إن دليل الصدق في الحب هو الاتباع، فلا ترى أحداً يحب شيئاً ثم لا يتناوله وكذلك حب الله ورسوله إنما معناهما على الحقيقة حب ما أمراً به ونهيا عنه، فإذا قال الرجل: أنا أحب الله ورسوله ولم يتناول أمرهما ونهيهما بالاتباع فهو كاذب في دعوى الحب، فإذا تحول الحب عنه إلى صراخ فقد خادع نفسه وخادع الله وغش الناس جميعاً.

فكل من أدعى حب الله ورسوله، ولم يكن تعبيره عن هذا الحب إتباعاً قدر الطاقة والوسع، وكل من مال بكليته أو بمعظم عواطفه إلى المال والولد والزينة مؤثراً لها على أمر الله فقد كذب على نفسه وغش ربه، وضل وأضل غيره، وارتكب إثماً عظيماً، وتعرض للمقت والسخط من رب العالمين.

المبحث الثاني

الكذب على الله ورسوله ﷺ

من أشنع صور الكذب الكذب على الله، أو الكذب على الرسول ﷺ، لأنه افتراء في الدين وتلاعب بشرائع الله لعباده وتجرؤ عظيم على النار ولذلك كان من صفات النبي ﷺ الأساسية صفة الصدق في تبليغ ما أمره الله بتبليغه، ولما طالب الكافرون رسول الله بتغيير بعض ما أنزل إلى ما يوافق أهواءهم أنزل الله تعالى قوله: ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾ [سورة الحاقة: ٤٤-٤٧] تفسير البيضاوي، ج٣٠[١].

لخطورة أمر الكذب على الله فقد حذر الله تعالى من ذلك في قوله تعالى: ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤٤]، وقال عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: ٢، ٣]، وقال سبحانه: ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الأنعام: ٢١]، وقال عز وجل: ﴿**قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ [يونس: ٦٩][٢].

ومن الكذب على الله الكذب في أسمائه وصفاته، ونفي ما أثبته، أو إثبات ما نفاه عن نفسه.

وكذلك الكذب عليه في دينه وشرعه بتحليل ما حرمه وتحريم ما لم يحرمه. وإسقاط ما أوجبه، وإيجاب ما لم يوجبه، وكراهة ما أحبه واستحباب ما لم يحبه، وكذلك الكذب معه في الأعمال: بالتحلي بحلية الصدق، والزاهدين المتوكلين وليس في الحقيقة منهم[٣].

ونظير الكذب على الله الكذب على الرسول ﷺ، لأن أقوال الرسول حجة في الدين ومصدر التشريع فيه، فالكذب عليه تلاعب في الدين وافتراء على الله ولذلك جاء في

(١) الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حسن حنكبة الميداني، ص ٥٤١.
(٢) آفات اللسان، سعيد القحطاني.
(٣) تهذيب مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، وهذبه، عبد المنعم صالح العلي العزي، دار المطبوعات الحديثة.

الحديث المتواتر أن الرسول ﷺ قال: **{من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}** رواه مسلم (٣) والبخاري (١١٠).

ومن يروي الأحاديث الموضوعة، وهو يعلم أنها موضوعة، ثم لا يبين وضعها، ولا يذكر أنها مكذوبة على رسول الله ﷺ هو أحد الكاذبين، روى الإمام المسلم عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: **{من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين}** كنز العمال (٢٩١٧١).

وقد تفضل الله على هذه الأمة فقيض لها علماء مخلصين قاموا بأعمال علمية مضنية، حرروا فيها ما نسب إلى رسول الله ﷺ من أحاديث ميزوا ما هو صحيح النسبة إلى رسول الله، وما هو ضعيف النسبة وما هو موضوع مكذوب عليه(١).

ويدخل في نطاق هذا الافتراء سائر ما ابتدعه الجهال، وأقحموه على دين الله من محدثات لا أصل لها عدها العوام دينا، وما هي بدين، ولكنها لهو ولعب. وقد نبه النبي ﷺ أمته إلى مصادر هذه البدع المنكرة، وحذر من الانقيّاد إلى تيارها، وتمسك المسلمين بأي كتابهم وسنة سلفهم قال: **{يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يحدثوكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم}**(٢، ٣) مسلم (٦).

المبحث الثالث

الوعيد على من كذب على رسول الله ﷺ

الكذب على رسول الله ﷺ كذب على الله يقول: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [سورة النجم: ٣، ٤].

الكذب على رسول الله ﷺ أشد وأعظم ذنباً، وأقبح فعلاً وإنه فاحشة عظيمة وموبقة كبيرة ولكن لا يكفر بهذا وهذا مذهب الجمهور. وعند بعض أهل العلم أن الكذب عليه ﷺ يكفر متعمده.

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.
(٣) رواه مسلم.

وقال الإمام ابن حجر الكذب عليه ﷺ كبيرة والكذب على غيره صغيرة، وقد فرق النبي ﷺ بين الكذب عليه وبين الكذب على غيره فقال: **{إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار}**[1] **{إن الذي يكذب على نبي له بيت في النار}**[2].

إن من كذب على النبي ﷺ عمداً في حديث واحد فسق وردت رواياته كلها وبطل الاحتجاج بجميعها[3].

(١) البخاري (١٢٢٩)؛ أحمد (١٨٢٢٧).
(٢) رواه أحمد (٦٣٠٩) وأبو بعلي (٥٤٤٤).
(٣) آفات اللسان، سعيد القحطاني، ط٤.

الفصل الثالث

ضروب الكذب

أولاً : شهادة الزور

ثانياً : القذف بالباطل

ثالثاً : الصدق والكذب في العهد والوعد

رابعاً : اليمين الغموس

خامساً : الكذب في الأفعال

سادساً : النفاق

سابعاً : الكذب عل النفس

ثامناً : الكذب لإضحاك الناس

تاسعاً : الكذب في الرؤيا

عاشراً : الكذب لمدح الغير

ضروب الكذب:

أولاً: شهادة الزور:

في حياة الناس نوع خطير من الكذب، شديد القبح، سيئ الأثر وهو شهادة الزور. إن الأصل في الشهادة أن تكون سنداً لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل، والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها، فكانت سنداً للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق. فهي شهادة زور.

تعريف الزور:

الأصل في الزور، تحسين الشئ، ووصفه بخلاف صفته، حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به. والشرك قد يدخل في ذلك، لأنه محسن لأهله حتى قد ظنوا أنه حق وهو باطل. ويدخل فيه الغناء، لأنه أيضاً مما يحسنه ترجيع الصوت حتى يستحيل سماعه.

والكذب أيضاً: قد يدخل فيه لتحسن صاحبه إياه حتى يظن صاحبه أنه حق فكل ذلك مما يدخل في معنى الزور.

الترهيب من الوقوع في شهادة الزور:

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ**﴾ [المعارج: ٣٣-٣٥]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**﴾ [الفرقان: ٧٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلاَ تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٨٣].

عن أبي بكرة عن أبيه قال: قال النبي ﷺ: **{ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟}** ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **{الإشراك بالله، وعقوق الوالدين}**.وجلس وكان متكئاً فقال: **{ألا وقول الزور}** فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت(١).

(١) البخاري (٢٥١١).

وعن أنس قال: **{الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قول الزور}**(١). عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: سألت أمي ابي بعض الموهبة لي من ماله. ثم بدا فوهبها لي. فقلت: لا أرضى حتى تشهد النبي ﷺ. فأخذ بيدى وأنا غلام فأتى بي النبي ﷺ، فقال: إن أمة بنت رواحة سألتنى بعض الموهبة لهذا، قال: **{ألك ولد سواه}** قال: نعم، قال فأراه قال: **{لا تشهدني على جور}** وفي رواية **{لا أشهد على جور}**(٢).

عن ابي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **{من لم يدع قل الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه}**(٣).

فنجد أن الله تبارك وتعالى حرم شهادة الزور، لكونها سبباً لإبطال الحق، وحرم كتمانها، لكونه سبباً أيضاً لإبطال الحق.

يترتب على شهادة الزور من الجرائم:

شهادة الزور عظيمة الخطر والضرر، لأنه يترتب عليها جرائم كثيرة منها يأتي:

١- تضليل الحاكم عن الحق والتسبب في الحكم بالباطل، قال ﷺ: **{إنما أنا بشر وإنك تختصمون إلى ولعل أحدكم ألحن بحجته من الآخر فأقض به نحو ما أسمع}**.

٢- الظلم لمن شهد له لأنه ساق إليه ما ليس بحق بسبب شهادة الزور فوجبت له النار لقوله ﷺ: **{إنكم تختصمون إلى ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخي شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعاً من النار فلا يأخذها}**(٤).

٣- الظلم لمن شهد عليه حيث أخذ منه ماله أو حقه بالشهادة الكاذبة فيتعرض الشاهد بذلك لدعوة المشهود عليه بغير الحق ظلماً، ودعوة المظلوم مستجابة لا ترد وليس بينها وبين الله حجاب كما قال ﷺ: **{ثلاثة لا ترد دعوتهم. ومنهم دعوة المظلوم**

(١) البخاري.
(٢) البخاري (٢٥٠٧).
(٣) البخاري (١٨٠٤، ٥٧١٠).
(٤) البخاري (٦٥٦٦، ٦٧٤٨).

يرفعها الله فوق الغمام وتفتح لها أبواب السماء ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين}[1].

٤- تخليص المجرمين من عقوبة الجريمة بالشهادة الباطلة وذلك يسبب للناس الرغبة في ارتكاب الجرائم اتكالاً على وجود شهادة الزور.

٥- يترتب على شهادة الزور انتهاك المحرمات وإزهاق النفوس المعصومة وأكل الأموال بالباطل والحاكم والمحكوم له وعليه بالباطل خصماء لشاهد الزور عند أحكام الحاكمين يوم القيامة.

٦- يحصل بشهادة الزور تزيكة المشهود له وهو ليس أهلاً لذلك ويحصل بها جرم المشهود عليه بالباطل. وشاهد الزور هو مزك للظلم، ومجرح للمظلوم.

٧- يترتب على شهادة الزور القول في دين الله بغير حق وبغير علم فإن ذلك من أعظم الفتن. ومن أخطر أسباب الصد عن السبيل ومن أفحش عوامل الضلال للناس؛ وهو من الجرأة على الله ومن أوضح الأدلة على جهل قائله؛ خاصة إذا تبين له الحق فلم يرجع إليه[2].

ثانياً: القذف بالباطل:

ومن أقبح الكذب اتهام البراء بالفاحشة، وبما لم يرتكبوه من آثام ففيه ظلم للناس، وعدوان على أعراضهم، وإشاعة للفاحشة والإثم، وتهوين لأمرهم أو تشجيع عليهما، وذلك لأن من في نفسه الرغبة بارتكاب الفاحشة والوقوع في الآثام، ولكن يحجبه ويكفه خوف الفضيحة بين الناس، إذا سمع أقوال الناس بعضهم ببعض، واتهام بعضهم لبعض بمثل ذلك، هان عليه الأمر، وتجرأ على الإثم، ورأى أنه هو والآخر ممن يحسن الناس الظن بهم سواء.

ولذلك وضع الإسلام عقوبة القذف ثمانين جلدة لمن رمى المحصنات، ثم لم يثبت أقواله بأربعة شهداء قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور: ٤].

(١) الترمذي (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢).
(٢) آفات اللسان، سعيد القحطاني، ط٤.

واشتد القرآن عليهم باللعن وتقرير العذاب العظيم فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

وألمح القرآن الكريم إلى أن من أعراض اتهام الناس بالفاحشة الرغبة بأن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

وأشد قبحاً من ذلك من يرمي غيره بما فعل هو من أثم وخطيئة، فهو ذو جريمة، إنه مرتكب الإثم أن يبرئ نفسه بإلقاء التهمة على غيره، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾ [النساء: ١١٢][1].

ثالثاً: الصدق والكذب في العهد والوعد:

الصدق في الوعد وفي العهد من الفضائل الخلقية التي يتحلى بها المؤمنون والكذب في الوعد وفي العهد من الرذائل الخلقية التي يتجنبها المؤمنون الصادقون الذين يعملون الصالحات.

من وعد أو عاهد وكان ناوياً الوفاء بما وعد أو عاهد عليه ثم لما جاء وقت الوفاء غير رأيه فلم يف، فإنه يسمى ناقضاً ناكثاً لوعده أو عهده مخلفاً به، فإذا جاء وقت الوفاء فعجز عنه لسبب من الأسباب فهو معذور بإخلافه.

فليس كل مخلف كاذباً، وإنما المخلف الكاذب من كان عند وعده أو عهده غير عازم على الوفاء، ونقض العهد ونقض الوعد رذيلة خلقية أساسها عدم تأدية الحق الذي يجب بالالتزام، ما لم يكن عدم الوفاء خيراً منه، ففعل ما هو خير هو الأفضل في الإسلام.

أحوال إخلاف الوعد والعهد:

الحالة الأولى:

التعبير العملي عند حلول أجل الوعد أو العهد عن الكذب في القول منذ إعطاء الوعد أو العهد وهو في هذا يحمل رذيلة الإخلاف المستن إلى رذيلة الكذب.

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق.

الحالة الثانية:

النكث والنقض لما أبرم به من وعد أو عهد، وهذا يعبرعن ضعف الإرادة وعدم الثبات، وعدم احترام شرف الكلمة وثقة الآخرين بها وهذا اخلق يفضي بصاحبه إلى النبذ من ملاك جماعة الفضلاء الذين يوثق بهم وبأقوالهم.

الحالة الثالثة:

التحول إلى ما هو أفضل وخير عند الله، والانتقال إلى ما هو أكثر طاعة لله، إلا أن هذه الحالة لا تكون في العهود التامة، التي تدخل فيها حقوق دولية، ولا في العهود التي تربط بها حقوق مادية للآخرين من الناس.

الحالة الرابعة:

العجز عن الوفاء لسبب من الأسباب، ومن عجز عن الوفاء من صدق رغبته وحرصه عليه فهو معذور لعدم استطاعته.

المبحث الثاني: الأمر بالوفاء بالعهد والوعد:

إن صدق الوعد والعهد والوفاء بهما من فضائل الأخلاق، ومن روائع الظواهر الحضارية، أما الكذب في الوعد والعهد وعدم الوفاء بهما فمن رذائل الأخلاق ومن مظاهر التخلف الحضاري، وهما من أخلاق الأمم التي لا تحترم نفسها، لا تكترث بارتقاء سلم المجد الإنساني، بل تهون عليه أنفسها هواناً يرضيها بمواقع المهانة والضعة والانحطاط.

ولما أخذ الإسلام بأيدي المسلمين إلى قمم الفضائل ومعارج الحاضرة المثلى، كان من الأخلاق التي حث على التحلي بها صدق الوعد والعهد الوفاء بهما فقال الله تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾** [الإسراء: ٣٤].

ولما كان الوفاء بالعهد من الأخلاق الإيمانية ذات الدرجات الرفيعة أثنى الله على المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فقال الله تعالى: **﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾**

[الأحزاب: ٢٣].

والوفاء بالوعد والعهد والصدق فيهما من أخلاق الأنبياء والمرسلين، ومن الأخلاق التي دعت إليها الأديان كلها، وعنها ورثت الأمم ما تطبقه من فضيلتهما، وقد أثنى على إسماعيل عليه السلام بأن كان صادق الوعد قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِياً**﴾ [مريم: ٥٤].ومن روائع قصص صدق الوعد، ما رواه أبو داود عن عبد الله بن أبي الحسماء، قال: بايعت النبي ﷺ قبل أن يبعث وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه، فنسيت، فذكرت بعد ثلاث فإذا هو في مكانه، فقال: **{لقد شققت علي، أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك}**[1]. أبو داود (٤٩٩٦).

رابعاً: اليمين الغموس:

من أقبح صور الكذب، الكذب الذي يؤكد باليمين، وهو الحلف بالله لتوثيق الكلام الكاذب، وهذا اليمين الكاذبة الفاجرة هي اليمين الغموس، وقد سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم الكبير ثم تغمسه في النار.

واليمين الغموس من أعظم الكبائر، وإنما كانت كذلك لأن فيها استغلال ثقة المخاطب بإيمان الحالف بالله، وأنه لا يتجرأ على أن يحلف بالله كاذباً، فيصدقه ويستسلم له، ويعتبر يمينه بقوة البينة.

وقد سئل رسول الله ﷺ عن اليمين الغموس فأجاب بأنها هي اليمين الكاذبة التي يقتطع بها حالفها مال امرئ مسلم بغير حق، جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الكبائر؟ فقال **{الإشراك بالله}** قال: ثم ماذا: **{اليمين الغموس}** قلت: ما اليمين الغموس؟ قال: **{الذي يقتطع مال امرئ مسلم}**. يعني: مال امرئ مسلم بيمين هو فيها كذاب. البخاري (٦٥٢٢).

إن مرتكب هذا الإثم العظيم يرتكبه ليتزيد من عرض الحياة الدنيا ولكن لا يزيده الله إلا قلة وفقرا، وهي معاقبة معجلة من الله له بعكس ما يسعى إليه فلا يصل إلى ما يريده من استكثار من عرض الحياة الدنيا ولا وهو يحافظ على سلامة دينه من كبائر الإثم.

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.

روى مسلم عن ثابت بن الضحاك، أن الرسول ﷺ قال: **{من ادعى دعوى كاذبة ليتكنز بها لم يزده الله إلا قلة}**. جزء من حديث في مسلم (١١٠).

إن اليمين الفاجرة لا كفارة لها شرعاً، وليست لصاحبها من سبيل إلا باب التوبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **{خمس ليس لهن كفارة وذكر منها - يمين صابرة يقتطع بها مالاً بغير حق}**[١]. أحمد (٨٧٢٢).

خامساً: الكذب في الأفعال:

كما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكونان في الأفعال، فقد يصدق الناس في تعبيراتهم الفعلية، وقد يكذبون فإذا كانت تعبيراتهم الفعلية مطابقة للواقع والحقيقة فإنها تكن أفعالاً صادقة، وإذا كانت غير مطابقة فإنها تكون أفعالاً كاذبة[٢].

لا فرق بين كذب الأقوال وكذب الأفعال في تضليل العقول والعبث بالأهواء وخذلان الحق واستعلاء الباطل عليه، ولا فرق بين أن يكذب الرجل فيقول إني ثقة أمين لا أخون ولا أغدر.

فأقرضني مالاً أرده لك ثم لا يؤديه بعد ذلك، وبين أن يأتيك سبحة يهمهم بها فتنطق سبحته بما سكت عنه لسانه من دعوى الأمانة والوفاء فيخدعك في الثانية كما خدعك في الأولى، لا بل يستطيع كاذب الأفعال أن يخدعك ألف مرة أن يخدعك كاذب الأقوال مرة واحدة لأنه لا يكتفي بقول الزور بلسانه حتى يقيم على قضيته بينة كاذبة من جميع حركاته وسكناته[٣]. والكذب في الأفعال أشد خطراً وأقوى تأثيراً من الكذب في الأقوال.

ولما كان الصدق مطلوباً من المؤمنين في أقوالهم وأعمالهم أمر الله المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

والصادقون هم الذين صدقوا في إسلامهم، وإيمانهم وأقوالهم وأعمالهم وصدقهم في أعمالهم يكون في أن يبتغو بها وجه الله تعالى[٤].

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحم الميداني، دار القلم، دمشق.
(٣) النظرات، مصطفى المنفلوطي، ج١، دار الجيل.
(٤) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.

سادساً: النفاق:

فضيلة الصدق يقابلها رذيلة النفاق أيضاً ولعل هذا الكذب جعل القرآن الكريم يقسم الناس إلى صادق ومنافق، فيقول الله تعالى: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٢٤] تفسير الكبير.

ولذلك جاء على ألسنة العلماء أن الإيمان والكذب لا يتفقان لأن الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، فلا يجتمع كذب وإيمان إلا وأحدهما يحارب الآخر(١).

أبرز ما في النفاق أنه مظهر من مظاهر خلق الكذب، على أننا لدى التحليل نلاحظ أنه سلوك مركب يرجع إلى عناصر خلقية متعددة، فإذا جمعنا الجبن والطمع بالمنافع الدنيوية، وجحود الكذب، تولد عنها في سلوك الفرد ما تسميه النفاق.

ولولا أن يكون خلق الكذب أصيلاً في نفس المنافق لما طاوعته نفسه أن يلتزم سبيل النفاق، إن النفاق كذب دائم في القول والعمل وهذا لا يستطيعه ولا يحسنه إلا كذاب أشر، ممتهن للكذب جر ئ عليه وقح في التزامه، قادر على أن يبيت الناس في وجوههم وذلك بأن يفتري عليهم الأقاويل، ويواجههم بها ويحلف في ذلك بالإيمان الغلظة دون أن يتلعثم وعلى مقدار مهارة المنافق في الكذب يكون تعمقه في درك النفاق.

وأخف درجات النفاق أن يتخذ المنافق وجهين يستعين بأحدهما، فيرضي بظاهره جماعة المسلمين، وسيختفي بالآخر ويتآمر به مع الكافرين الصرحاء مخبراً لهم في السر أنه معهم وأنه يريد أن يتظاهر بالانضمام إلى المسلمين ليخدم بذلك مصالح أعدائهم، وأشد من ذلك المنافق الذي يخادع المؤمنين ويخادع أعدائهم معاً.

علامات المنافقين:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **{هي رذيلة الكذاب، فهو يتظاهر أنه مسلم، فيعلن ذلك بلسانه، ويشهد الله على ما في قلبه، وهو في ذلك كاذب، ومن لا يكون كذاباً لا يعرف كيف ينافق}.**

(١) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، ج٢، دار الرائد العربي.

والرذيلة الثانية:

هي رذيلة إخلاف الوعد وهي صورة من صور الكذب، وذلك إذا كان الإخلاف مقصوداً عند إعطاء الوعد. أما إذا كان غير مقصود فيكن حينئذ من قبيل عدم حفظ ما استؤمن عليه.

والرذيلة الثالثة: هي خيانة الأمانة[١].

سابعاً: الكذب على النفس:

يكذب الإنسان على نفسه حينما ينال حظاً من الدين والعلم قليلاً، فيتصدر للإفتاء والإرشاد، ويقنع نفسه بكذبه عليها، فتؤازره بالاستعلاء والكبر، فيشرع في الدين ما ليس منه ويبتدع ما يهدم به الأصول ويصل بذلك إلى غاية الفجور.

ويكذب علماء العصر على أنفسهم حينما يعتقدون أنهم أهل للاجتهاد، ولكي يفسحوا المجال لأنفسهم طريقاً للعلوم بين العلماء يناون بفتح باب الاجتهاد في كل عصر، ثم يضلون على عمى النفس والقلب، فيخرجون علينا بآراء تحل الحرام المجمع على تحريمه فقالوا بإيداع المال بفائدة وبدعة التأمين على الحياة وشهادات الاستثمار.

هذا بعض بلايا الكذب على النفس وهي كبيرة من الكبائر، أو مؤدية إلى كبيرة، والصدق مع النفس برد الحق إلى أهله ويرغم النفس على الاتباع ومجانبة الابتداع[٢].

ثامناً: الكذب لإضحاك الناس:

قد يستسهل المرء الكذب حين يمزح، معتقداً أن مجال اللهو لا خطر منه على إخبار أو اختلاق ولكن الإسلام الذي أباح الترويح عن القلوب لم يرض وسيلة لذلك إلا في حدود الصدق المحض، فإن في الحلال مندوحة عن الحرام وفي الحق غناء عن الباطل.

قال رسول الله ﷺ: **{ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له}**[٣]، وقال ﷺ: **{أنا زعيم بيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان**

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق.
(٢) هذا حلال وهذا حرام، عبد القادر احمد عطا، دار الاعتصام.
(٣) أبو داود (٤٩١٠).

مازحاً}[1]، وقال ﷺ: **{لا يؤمن العبد الإيمان كله حتى يترك الكذب المرء وإن كان صادقاً}.**

والمشاهد أن الناس يطلقون العنان لأخيلتهم في تلفيق الأضاحيك، ولا يحسون حرجاً في إدارة أحاديث مفتراه على ألسنة خصومهم أو أصدقائهم ليتندروا بها أو يسخروا منهم وقد حرم الدين هذا المسلك تحريماً تماماً، إذ الحق أن اللهو بالكذب كثيراً ما ينتهي إلى أحزان وعداوات[2]. كان من أوصاف الرسول الكريم ﷺ أنه كان يمزح ولا يقول إلا حقا، جاءته امرأة عجوز تسأله أن يدعو الله لها بدخول الجنة فقال عليه السلام يمازحها: إن الجنة لا تدخلها عجوز .. فقالت باكية نادية، فقال عليه السلام ردوها ثم قال لها: إنك لا تدخلين الجنة وأنت عجوز ولكنك تدخلينها شابة[3].

تاسعاً: الكذب في الرؤيا:

يعمد بعض الناس إلى اختلاق رؤى ومنامات لم يروها لتحصيل فضيلة أو ذكر بين الخلق، أو لحيازة منفعة مالية أو تخويفاً لمن بينه وبينهم عداوة وكثير من العامة لهم اعتقادات في المنامات وتعلق شديد بها، فيخدعون بهذا الكذب وقد ورد الوعيد الشديد لمن فعل هذا الفعل قال ﷺ: **{إن من أعظم الفرى أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يرى عينه ما لم تر ويقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل}** البخاري (٣٣١٨)، وقال ﷺ: **{من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعرتين ولن يفعل...}**[4] البخاري (٦٦٣٥).

عاشراً: الكذب لمدح الغير:

فمدح الناس مدرجة للكذب، والمسلم يجب أن يحاذر حينما يثني على غيره فلا يذكر إلا ما يعلم من خير، ولا يجنح إلى المبالغة في تضخيم المحامد وطي المثالب. ومهما كان الممدوح جدير بالثناء فإن المبالغة في إطرائه ضرب من الكذب المحرم.

(١) أبو داود (٤٨٠٠).
(٢) خلق المسلم، محمد الغزالي، دار القلم، دمشق.
(٣) أخلاقنا الاجتماعية، مصطفى السباعي، الكتب الإسلامي، بيروت، ط٤.
(٤) محرمات استهان بها الناس، محمد بن صالح لمنجد، دار الوطن، الرياض.

قال الرسول ﷺ: **{لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله}**. وهناك فريق من الناس يتخذ المدائح الفارغة بضاعة يتملق بها الأكابر ويصوغ من الشعر القصائد المطولة، ومن النثر الخطب المرسلة، فيكيل الثناء جزافا ويعرف بما لا يعرف، وربما وصف بالعدالة الحكام الجائرين، ووصف بالشجاعة الأغبياء الخوارين، ابتغاء عرض من الدنيا عند هؤلاء وأولئك.

هذا الصنف من الناس أوصى الرسول ﷺ بمطاردتهم حتى يرجعوا من تزويدهم بوجوه عفرها الخزى والحرمان، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثوا في وجه المداحين التراب. والحدود التي يقف عندها المسلم ويخرج بها عن المبالغة وينفع بها ممدوحه قد بينها رسول الله ﷺ في قصة الرجل الذي أثنى على رجل عنده فقال له: "ويحك قطعت عنق صاحبك، ثم قال: من كان مادحاً أخاه لا محالة فليقل: أحسب فلاناً - والله حسيبه ولا يزكي على الله أحد - أحسب فلاناً كذا وكذا إن كان يعلم ذلك منه"[1].

(١) أحمد (٢٣٨٩٩)، الترمذي (٣٧٤٤).

الفصل الرابع
حكم الكذب وعلاجه

المبحث الأول : حكم الكذب

المبحث الثاني : الحالات التي يجوز فيها الكذب

المبحث الثالث : العلاج الإسلامي لخلق الكذب

المبحث الرابع : جزاء كل من الصادق والكاذب.

المبحث الأول: حكم الكذب

قال الإمام النووي (رحمه الله تعالى): (قد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة وهو من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب وإجماع الأمة منعقد على تحريمه)(١).

المبحث الثاني: الحالات التي يجوز فيها الكذب:

الأصل في الكذب عدم الجواز، ولكن توجد حالات يجوز فيها الكذب تحقيقاً للمصلحة هي أعظم مما في الكذب من مضرة أو وفقاً لضرر هو أشد مما في الكذب من ضرر.

أولاً: الكذب على العدو في حالة حربه للمسلمين لتضليله، ولا يدخل في ذلك الكذب عليه بتأمينه أو معاهدته ثم الغدر به.

ثانياً: أن يتوسط الإنسان للإصلاح بين فريقين متخاصمين ثم لا يجد وسيلة للإصلاح بينهما إلا بالكذب والأفضل أن يوري بأقواله دون أن يكذب فهو خير له، روى البخاري ومسلم قال رسول الله ﷺ: **{ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمني خيراً أو يقول خيراً}**. البخاري (٢٤٣٥)، ومسلم (١٠١).

ثالثاً: حديث الرجل لامرأته، وحديث المرأة لزوجها، في الأمور التى تشد أواصر الوفاق والمودة بينهما فهذه حالة يتسامح فيها بشئ من الكذب لتوثيق روابط الأسرة.

روى أحمد عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: **{يا أيها الناس، ما يحملكم أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش في النار، الكذب كله على ابن أدم حرام، إلا في ثلاث خصال: رجل كذب على امرأته ليرضيها، ورجل كذب في الحرب فإن الحرب خدعة، ورجل كذب بين مسلمين ليصلح بينما}**(٢). أحمد (٢٧٦١١).

(١) الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ج١.

قال بعض العلماء: إنما جاز الكذب في هذه الأمور لأن الجيش حصن الأمة، ولأن الشقاق رأس كل مصيبة، ولأن النزاع بين الزوجين يعرض الأسرة للضياع وهي أساس المجتمع(١).

المبحث الثالث: العلاج الإسلامي لخلق الكذب:

إن التزام الصدق أمر يحتاج إلى إرادة صلبة، وعزيمة قوية، وإيمان وطيد، واحتمال كريم لتبعات الصدق، ولذلك قال البشر ابن الحارث: "من عامل الله بالصدق استوحش من الناس".

إن أقوم طريق يوصل إلى الصدق هو أن يخالف الإنسان هوى نفسه، وأن يوافق الحق والعدل، ومن هنا قال ابن القيم – رحمه الله تعالى: "حمل الصدق كحمل الجبال الرواسي، لا يطيقه إلا أصحاب العزائم".

وقال الجنيد: (حقيقة الصدق أن تصدق في المواطن لا ينجيك منه إلا الكذب)(٢). وقد بين لنا الرسول ﷺ في الحديث الذي سبق ذكره مسألة من أهم مسائل الأخلاق وهي طريقة تربية الخلق وتكوينه، وتقويته في النفس وتثبيته، وجعله في صف الطبائع، ذلك أن يتحرى الإنسان القول الجميل، أو الصنع المجيد، ويعلم المرة بعد المرة، والرابعة تلو الثالثة، والسادسة بعد الخامسة، حتى يؤثر في نفسه أثراً، يتخذ منها مجرى، يزداد تعمقاً كلما تابع العمل.

فإذا بذلك الأثر الخلق والفضيلة، التي تصدر عنها الأعمال الطيبة بسهولة فمن رغب أن يكون الصدق شيمته وخلقه، ودينه وطبعه، فليتحر الصدق في أقواله وأعماله، ويتابع ذلك، فإذا بالصدق خلقه، وإذا به الصديق.

المبحث الرابع: جزاء كل من الصادق والكاذب:

ومعنى كتابة الله من تحري الصدق وتعوده صديقاً، ضبط ذلك في سجله، وحسابه في زمرة الصديقين، وإعلان ذلك في الملأ الأعلى، فرحاً به، ورفعاً لذكره والوحي إلى قلوب العباد بذلك ليحترموه ويجلوه، ويوقروه.

(١) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار الرائد العربي، ج١.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، ج١، ط١، دار الرائد العربي.

وبين ﷺ أن الفجور يهدي إلى النار، ويرمي بصاحبه إلى الدرك الأسفل.

وكما أن الأعمال الحميدة، بتحريها وتعودها تتكون الأخلاق العليا، التي هي مصدر الخيرات، كذلك الأعمال السيئة إذا تحراها الإنسان وتعودها كونت في نفسه الأخلاق السيئة، التي هي مصدرا لشرور الآثام.

فمن سمح لنفسه بكذبة مرة، وأتبعها بأخرى، وعززها بثالثة فرابعة، وهكذا أصبح الكذب خلقاً له، وصار الكذاب المهين.

فليتجنب الإنسان نفسه الكذب ولا يجعله خلقه ولا طبعه، وأن يدع المحارم، وإن وقع في شيءٍ منها بادر إلى التوبة، ويحذر من العودة لها وتكرارها، وإلا كان من الهالكين.

وكتابة الله متعود الكذب كذاباً أي تدوين ذلك في صحيفته السوداء، وحسبانه من حزب الكاذبين المنافقين، والتشهير به في الملأ الأعلى، وإلهام النفوس أن تمجه وتحتقره وتزدريه وتمقته، فإذا به بين الناس الطريد المهين، الكريه البغيض[1].

فائـــــــدة

١- الكذب أس الرذائل به يتصدع بنيان المجتمع ويختل سير الأمور ويسقط صاحبه من العيون.

٢- من صفات الكاذب أنه لا يوثق به ولا يحب حديثه ولا تقبل شهادته.

٣- في القرآن الكريم الكثير من الآيات المقبحة للكذب وكذلك في السنة.

٤- أن مشاكل العالم اليوم ناتجة عن فقدان الصدق وإحلال الكذب محله.

٥- الكذب عنوان خيانة كبرى وآية من آيات النفاق ولا يطبع عليه مسلم وهو مفتاح الإثم والفجور وطريق إلى النار.

٦- أن الكذب جبن وخسة وجرأة على الله يستحق الكاذب من أجلها اللعن والطرد.

٧- أن الإسلام أشد الأديان وطأة على الكذب والكذابين.

(١) الأدب النبوي، م. حمد النحولي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨- خلق الكذب لا يكون أصلاً في طبع الإنسان إنما يكتسبه في حياته بعوامل شتى.

٩- من أشنع صور الكذب الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ.

١٠- من أقبح صور الكذب الكذب الذي يؤكد باليمين وهو الحلف بالله لتوثيق الكلام الكاذب.

١١- إن النفاق مظهر من مظاهر خلق الكذب.

الخاتمة

تم بحمد الله تعالى هذا البحث بعد التحري، والعناية، والتدقيق قدر المستطاع والموضوع له أهمية كبيرة، وجدير بالعناية من الباحثين والعلماء المخلصين، والكذب له آثار وأضرار خطيرة على المجتمعات الإسلامية بل والأفراد الأسرية.

وفي ختام بحثنا هذا نوصي كل مسلم أن يلتزم نهج الصدق ويجعله شعاره في كل أقواله وأفعاله واعتقاده وذلك ليكون الصديق ذا المكانة العالية بين الناس، والدرجة الرفيعة عند الله، وبتجنب الكذب حتى في الأحوال المباحة كي لا يعتاد عليه وأن لا يجالس ولا يصادق كذاباً حتى لا يكون الفاجر الأثيم، والكذاب المهين.

هذا ما يسره الله تعالى لنا جمعاً وبحثاً وكتابة وما هدانا إليه ورزقنا فهمه وإدراكه فنحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

فإن وفقنا في بحثنا هذا فهو فضل الله تعالى من به علينا، وهدانا إليه وإن تكن الأخرى فإنما هو منا والشيطان، والله برئ منه ورسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلي أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .. ونستغفر الله مما زعمنا أننا أردنا به وجهه فخالط قلوبنا ما قد علم ...

ونسأل الله أن ينفعنا به في حياتنا وبعد مماتنا، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ، إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، وأن ينفع به من قرأه أو سمعه ومقرباً لنا ولهم من جنات النعيم، وأن يجعله حجة لنا ولا يجعله حجة علينا، إنه تعالى خير مسئول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم بارك على عبده ورسوله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه نبينا، وإمامنا، وقدوتنا وحبيبنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجع

١- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الجزء الأول، الطبعة اثانية ١٤٠٧هـ١٩٨٧م، دار القلم، دمشق.

٢- تفسير ابن كثير ص ١٢، تفسير البيضاوي ٢١، تفسير الكبير .٣٣

٣- أخلاقنا الاجتماعية، د. مصطفى السباعي، الطبعة الرابعة، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤- الآداب النبوي عظات بالغة وحكم بالغة وآداب سامية، محمد عبد العزيز الخولي، ١٤٠٤هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٥- آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الطبعة الرابعة، ١٤١٢هـ.

٦- الألف المختارة من صحيح البخاري، اختيار وشرح عبد السلام محمد هارون، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، مكتبة الخانجي، مصر.

٧- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الشافعي، (٧٧٣-٨٥٢)، دققه: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، حلب.

٨- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني.

٩- تهذيب مدارك السالكين، كتبه الإمام ابن القيم الجوزية، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، دار المطبوعات الحديثة، جدة.

١٠- خلق المسلم، محمد الغزالي، الطبعة اثانية عشر، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، دار القلم، دمشق.

١١- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بلام بن عبد الصمد التميمي السمرقندي الدارمي (٢٥٥)، الجزء الأول - الثاني - دار الفكر.

١٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢)، الجزء العاشر، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٣- في مكارم الإسلام، فوزي سالم عفيفي.

١٤- الكبائر، للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي.

١٥- محرمات استهان بها الناس، محمد صالح المنجد، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار الوطن، الرياض.

١٦- مسند أبي داود الطيالسي، للحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي (٢٠٤) مكتبة المعارف، الرياض.

١٧- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

١٨- انفتاح الصحيحين بخاري ومسلم الحافظ محمد الشريف بن مصطفى التوقادي، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ.

١٩- موسوعة أخلاق القرآن، د. أحمد الشرباصي، الجزء الأول، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ، دار الرائد العربي.

٢٠- النظرات، مصطفى لطفي المنفلوطي، الجزء الأول، دار الجيل.

٢١- هذا حلال .. وهذا حرام، عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام.